

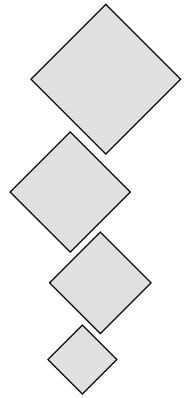
المشروع الوحدوي..

رواداً ومواقف

محسن الأسدي

الجميع في هذا المضمار بما يملكه من إيمان ثابت، وإسلام وثيق، وجهاد مريّر، وعلم غزير، وحرص على الرسالة والمؤمنين بها وعلى أهدافها ومستقبلها، وبما يتوفر عليه من وعي عميق بالساحة المسلمة ومعرفة بما فيها وما يحيطها من مخاطر جسام مع كل ما عاناه من مصادرة لحقه وتجاوز عليه.. فمع أنه عليه السلام كان يرى أحقيّته بمنصب الخلافة بلا فصل بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ربه تعالى، إلا أنه غض النظر عن حقه، ووقف ممن تولاها من الخلفاء الثلاثة بكل ما تمليه عليه مصلحة الدين ووحدّة الأمة وحفظ كيانها، فلم يكتف بمسالتهم وإنما تجاوز ذلك إلى نصيحتهم وإرشادهم ومؤازرتهم فيما تعرضت له الساحة الإسلامية من مخاطر، فكانت مواقفه تحددها المصلحة الإسلامية ومن أجل وحدة الساحة الإسلامية

تتعرض باختصار إلى المشروع الوحدوي في الساحة الإسلامية في بصماته الأولى عبر مؤسسيه الأوائل، والذين شغلهم أمره وراحوا يبذلون جهودهم وإمكانياتهم لتحقيقه والدفاع عنه، لأنه يعدّ الخط الأول في الدفاع عن الدين الحنيف وعن ساحته والمسلمين جميعاً، وقد انطلق عمل المؤسسين هؤلاء من التأسيس الشرعي والأحكام الشرعية، لهذا المبدأ المتين الذي جاء من أجل تحقيقه كل الديانات السماوية من خلال كتبها وجهود رسلها وأنبيائها والصلحين.. وهو ما نراه واضحاً في مواقف رسول الله صلى الله عليه وآله وأحاديثه، ومواقف أئمة أهل البيت عليهم السلام وسيدهم أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وهو الذي كان يعد - بعد رسول الله صلى الله عليه وآله - أول رائد لوحدة المسلمين وقد سبق



فقط و فقط، ولم تكن مواقفه من أجل الأشخاص، فكان خير ناصح للخلفاء وللمسؤولين، وكان أميناً على الرسالة ووحدة الأمة.. وهذه نماذج من أقواله التي تحكي مواقفه: فقد عبر الإمام عن موقفه الحريص على الوحدة الإسلامية مع إشارته بل تصريحه بحقه.. بقوله:

«إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أحقّ به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس حديثو عهد بالإسلام، والدين يخض مخض الوطب، ويفسده أدنى وهن، ويعكسه أقل خلف»^(١).

وقوله كما في كتابه إلى أهل مصر عندما ولى مالك الأشرع عليها: «فمراعي إلا انشبال الناس على أبي بكر يبايعونه فأمسكت يدي حتى

رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد، فخشيت إن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب أو كما يقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهه».

ويقول في هذا المجال المتعال الصعيدي أحد كبار علماء الأزهري: «حبس الإمام علي عليه السلام رأيه في أنه أحق من أبي بكر بالخلافة في نفسه، فأخلص له في سره وجهه ولم يضم حقداً عليه ولا ضغينة ولم يحاول أن يكن له أو ياتمر به، بل وقف منه في حرب الردة موقفاً يدل على كمال الإخلاص، ويعلن تمام الود، فإن أبا بكر حين خالفه المسلمون في حرب المرتدين ومانعي الزكاة

خرج وحده شاهراً سيفه فلحق به علي عليه السلام فأخذ بزمام راحلته، وقال له: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ لا تفجعنا في نفسك فوالله لو أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام. فرجع أبو بكر فمكث في المدينة وسمع هذه النصيحة الخالصة لعلي عليه السلام.

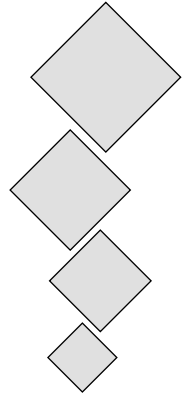
والشيء نفسه أيضاً حدث لما استشاره الخليفة الثاني في الخروج إلى غزو الروم فنصحه أن لا يخرج إليهم بنفسه وقال له: «إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتتكب لا يكن للمسلمين كهف دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت رداً للناس ومثابة للمسلمين»^(٢).

وأيضاً كان موقفه الآخر في مسألة الشورى التي عينها الخليفة الثاني

لاختيار الخليفة من بعده، وجاء اختيار عثمان بن عفان خليفةً وفق القاعدة التي وضعها الخليفة الثاني لعمل دائرة الشورى وإن كان شرطاً مؤملاً. لكن الإمام علياً عليه السلام لما رأى النتيجة هكذا آلمته كثيراً إلا أنه أعلن موافقته تلبية للمصلحة الإسلامية ولما تقتضيه وحدة الساحة المسلمة وخوفاً من وقوع الفتنة والفرقة ولم تكن استجابة لشخصية بذاتها أو لمصلحة ذاتية يبتغيها أبداً.. وهذا هو خطابه عليه السلام لأهل الشورى أنفسهم يبين رأيه بشكل جلي:

«ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(٣).

وخاطبهم أيضاً بقوله: «لقد علمتم أنني أحق بها من غيري، ووالله لأسألن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله،



وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه
وزبرجه» (٤).

وطالما قدم للخليفة عثمان
النصيحة ولم ييخل عليه بكلمة
تنفعه، وعمل ينجيه، وقد تفاقمت
عليه الفتنة التي أودت أخيراً بحياته،
وأوضح له أسباب الفساد، وعليه أن
يقتلع هذه الأمراض التي انتابت
حكومته.. وكان يقول له:

«أما الفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها باباً،
وأسهل إليها سبيلاً، ولكني أنهاك
عما ينهك الله ورسوله عنه، وأهديك
إلى الرشد، ألا تنهي سفهاء بني أمية
عن أعراض المسلمين وأبشارهم
وأموالهم، والله لو ظلم عامل من
عمالك حيث تغرب الشمس لكان
إثمه مشتركاً بينه وبينك». وكان يحذره
من مروان بن الحكم رأس الفساد،
ومن الأخذ برأيه فيقول له: «فلا
تكونن لمروان سيقه يسوقك حيث
شاء».. (٥)

ثم راحت مواقفه تترى معهم
على جميع المستويات مقدماً مصلحة
الإسلام العليا في قوته ووحدته
وبقائه على أيّ مغنم أو مكسب
آني أو ذاتي..

وهكذا ظل الإمام علي عليه السلام في كل
مواقفه وهي كثيرة، وقد تعالا فيها
على جراحه وآلامه ولم يسع وراء
السلطة وحطامها، مؤثراً الإسلام
ووحدّة الأمة المسلمة وبقائها موحدة
قوية، وقد دفع حياته ثمناً لها..

الإمام زين العابدين

وهذه المواقف الوجدانية لم تتوقف
وراحت تستمر عبر أئمة المسلمين
وهي تنبع عن مبدأ أكيد يعيشه أهل
البيت عليهم السلام يأتي من حرصهم على
الإسلام وبيضته ووحدته، فليس
الأمر مختصاً بالإمام علي عليه السلام فهذا
حفيده الإمام علي بن الحسين زين
العابدين عليه السلام وهو الإمام الرابع من

أئمة أهل البيت عليهم السلام (وفاته سنة ٩٥ هجرية)، فقد برز هذا المشروع الوحدوي واضحاً في حياته المباركة، فقد كان يدعو الله ويطلب من المسلمين أن يدعو الله تعالى طلباً لنصر جيش إسلامي ذاهب إلى قتال الروم رغم أن قيادة هذا الجيش لبني أمية المستقرة في الشام ارتكبت تلك المجزرة الرهيبة البشعة في كربلاء في شهر محرم سنة ٦١ هجرية بحق أبيه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه رضوان الله تعالى عليهم. وقد تجاوز هذا كله وما تركه الأمويون في قلبه من جراح، راح يضغط عليها، ويؤازر ذلك الجيش ويرفع يديه بالدعاء له بالنصر وهو دعاء الثغور المعروف، وهذه مقاطع منه:

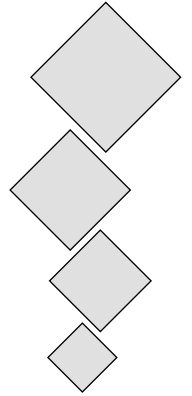
«اللهم صل على محمد وآله وحصن ثغور المسلمين بعزتك وأيد حماتها بقوتك وأسبغ عطاياهم

من جدتك... وكثر عدتهم واشحد أسلحتهم... وأفرغ عليه الصبر وسهل له النصر...».

وذلك كتأكيد من الإمام زين العابدين عليه السلام على القضية الإسلامية الأساس، وهي انتصار المسلمين الذي كان يهمله ووحدتهم التي كانت تؤرقه..

الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام

وقد تمثل هذا المشروع الوحدوي أيضاً في علاقة الإمامين الباقر عليه السلام والمتوفى سنة ١١٤ هجرية، والصادق عليه السلام المتوفى سنة ١٤٨ هجرية، وهما الإمام الخامس والسادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكانا أصحاب مدرسة فكرية كبرى كانت سلاحها مليئة بالكثير من طلبة العلم وأساتذته وهم من مختلف المذاهب الإسلامية وخصوصاً في زمن الإمام الصادق عليه السلام وبعد أن اتسع ميدان نشاطه وصار



تلك المواقف الشرعية لأئمة المسلمين ومن غيرها وهي كثيرة لمن أراد تتبعها، بقي موقف الدعوة إلى الوحدة والتقارب بين أتباع المذاهب الإسلامية، نهجاً واعياً سار عليه الواعون المصلحون من علماء ومفكري الأمة ودعاتها قديماً وحديثاً، ودعائم ذلك لا بد من الاعتراف والالتزام بها، وتتمثل هذه الأسس أو الدعائم بالنقاط التالية :

النقطة الأولى: الاهتمام الكبير والواعي بمصالح الأمة الإسلامية عموماً، وهي تتوقف على وحدتها، ووحدتها هدف مركزي لا يصح التخلي عنه أبداً، لأنه غاية التشريعات الإسلامية بل هو هدف البعثة النبوية الشريفة.. وتهون من أجله كثير من الأمور. فوحدة الأمة مطلب ديني، أكد عليه القرآن الكريم في آيات كثيرة كقوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا

أكثر حرية وخفت عليه ضغوط حكام عصره لانشغالهم بما وقع بينهم من خلاف ونزاع.. راح عليه السلام يستغل هذه الفرصة النادرة بأن يوسع من مدرسته ويبيث جهوده وأفكاره ويحث الآخرين على طلب العلم ويحترمهم وإن اختلف معهم في الرأي، ويحض أصحابه على حسن الحوار ومعرفة المنهج الصحيح في النقاش مع المختلف.. حيث كانت له مع أئمة المذاهب الإسلامية والمدارس الفكرية في زمانه لقاءات ولا سيما مع إمام المذهب الحنفي والمالكي، بحيث ما كانا يشعران بالخرج من التردد على الإمام الصادق والاستفادة منه.. كما كان عليه السلام يحرص على الانفتاح عليهما..

رواد الوحدة الإسلامية

وانطلاقاً من النصوص التالية التي تحدد الحكم الشرعي، ومن



رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٦﴾

وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (٧).

وأقوال رسول الله ﷺ في موارد

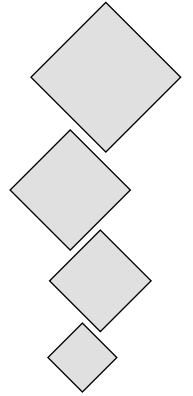
مختلفة، ومنها:

«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (٨).

وقوله ﷺ: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا» (٩).

ثم إن الوحدة إضافة إلى كونها مبررة شرعاً ولا يجوز مخالفة ما جاء به الشرع المقدس، فإن فيها مصلحة للأمة وحفظاً لها، وأن تماسك أبنائها ورص صفوفهم يعد إعزازاً لدين الأمة وتثبيتاً لها أمام أعدائها والمتربصين بها، وهذه أمور يهتدي إليها كل إنسان بعقله.

وانطلاقاً من هذين الأمرين «الشرعي والعقلي» غدت قلوب



علماء الأمة تتألم لواقع تمزقها وتفرقتها، وهم يرون أن ما من أمة قويت شوكتها وبنيت كيانها وقارعت أعداءها إلا بوحدتها.. لهذا راحوا يتطلعون لإنقاذها وتحليصها من كل ما يعيق وحدتها ويعكر صفو حياتها.. وهم بهذا يرون أنهم يتعبدون الله تعالى بموقفهم هذا، ويتقربون إليه بالسعي لوحدة الأمة، والعمل من أجل تماسكها، وتجنّبها الفتن والصراعات. ويرون التقصير في ذلك ذنباً من كبائر الذنوب وموجبات الإثم والعقاب.

النقطة الثانية: لا بد من الاعتراف بالتعدد المذهبي القائم في الساحة المسلمة. فهو أمر واقع لا يمكن الفرار منه أو التغافل عنه وله أسسه وجذوره وتراثه وعلماءؤه ومريدوه.. وليس هناك أحسن من التعامل معه واحترامه والاستفادة منه وتحويله إلى عنصر إيجابي ينفع دين المسلمين

ومسيرتهم ووحدتهم..

النقطة الثالثة: التركيز على مساحات التوافق الواسعة الواردة في هذه المذاهب، وهي كثيرة يمكن أن تكون هذه المشتركات دافعاً مشجعاً بل قوياً لبناء أواصر المحبة والمودة والتفاهم والأخوة بين أبناء الأمة..

النقطة الرابعة: تشخيص موارد الخلاف في هذه المذاهب، ثم الاتفاق على أن لا تشكل مانعاً للحوار وأن لا تكون عائقاً أمام وحدتهم وبأن تحيد ريشما تتم دراستها تمهيداً للحوار العلمي الهادئ فيها..

لم يجد هؤلاء المصلحون في دعوتهم للوحدة والتقريب طريقهم الوحدوي هذا بلا عوائق ومصاعب، من جهات متعددة، منها الجهات السياسية التي ترى في وحدة الأمة تقويضاً لكيانها، لهذا راحت تحالف الوحدة لأنها تحالف أغراضهم، وهناك جهات دينية وقوى اجتماعية تتبنى خط التشدد

المذهبي لسوء فهمها أو أنها ترى ارتباط مصالحها بمعادلات الخلاف المذهبي الطائفي. إلا أن المصلحين من الفرق الإسلامية لم يفت في عضدهم كل تلك الموانع والأذى، الذي يلحق بهم، لإخلاصهم في مسيرتهم ودقة معرفتهم بخدمة الدين وأهدافه والأمة ومسيرتها، وهو ما يجعلهم أكثر استقامة وثباتاً وتحملاً للآلام والصعاب..

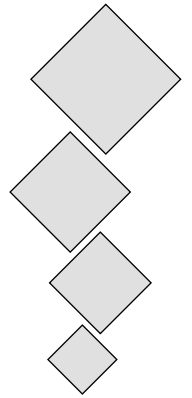
نعم، استمر التأكيد على هذا المشروع الوحدوي من خلال العلماء من المسلمين الشيعة والسنة، الذين كانوا يحرصون على تأكيد التواصل والحوار وتعريف السنة بما عند الشيعة والشيعة بما عند السنة، والتأكيد على الوحدة في القضايا الكبرى والأساسية.. وهو ما نجده عند كثيرين - رضوان الله تعالى عليهم - قديماً وحديثاً، نأتي في مقالتنا هذه على ذكر عدد منهم وموقف من

سيرتهم، أو نبذة مما كتبه ودونوه، وفي طليعتهم:

الشيخ المفيد (٥٤١٣هـ) وتلامذته

نعم هذا ما نلمسه عند الشيخ «أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد» وهو أحد أبرز علماء الشيعة الإمامية في القرن الثالث للهجرة، وكان عصره عصر النهضة العلمية، فأدرك كثيراً من أعظم علماء عصره من الفريقين من المحدثين والمتكلمين والفقهاء وسمع منهم وقرأ عليهم، فقد كان له الكثير من الأساتذة والتلامذة من علماء السنة.

ومن الطريف أن أحد علمائهم وهو علي بن عيسى الرماني المعتزلي (٢٩٦ - ٣٨٤هـ) هو الذي أطلق اسم المفيد عليه.. انظر ترجمة الشيخ المفيد (اسمه ولقبه) في مقدمة كتاب الجمل



ولعل في غيره موجودة قصة تسميته بالمفيد وهي قصة لطيفة نافعة علمياً تتضمن نقاشاً علمياً بين الشيخ المفيد والعالم المعتزلي المذكور، وعلى أثرها لقبه باللقب الذي اشتهر به. لقد كانت مدينة بغداد يومذاك عاصمة الدولة الإسلامية وتعدّ المركز الثقافي للعالم الإسلامي ومملوءة بكثير من العلماء أصحاب المذاهب الإسلامية المختلفة، وكانت مجالس المناقشة والمناظرة والمباحثة قائمة فيها وتنعقد بحضور الخلفاء والملوك وسائر أرباب النفوذ فكان للشيخ المفيد حضور متميز فيها شهد به الجميع.. المفيد، الذي راح يدرّس فقه المذاهب الإسلاميّة الأخرى إلى جانب الفقه الجعفري في بغداد، وظلّ مرجعاً للسنة والشيعه..

السيدان المرتضى والرضي

واستمرت هذه العلاقة المتبادلة

والتواصل بين علماء السنة والشيعه بعد الشيخ المفيد من خلال تلميذيه السيد الشريف المرتضى علم الهدى علي بن الحسين الموسوي (٤٣٦هـ) وأخيه السيد الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي (٤٠٦هـ) حيث كانت لهما علاقات أخوية وعلمية مع كثير من علماء السنة، وقد صنف السيد الرضي كتاباً اسمه «حقائق التأويل» وكان أغلب الذين ينقل عنهم هم من أهل السنة حتى أن الذي يقرأ الكتاب لا يستطيع أن يميز فيما إذا كان مؤلفه شيعياً أو سنياً، الأمر الذي أثار حالة من الشك لدى بعض المترجمين لسيرته..

الشيخ الطوسي

ومن هؤلاء أيضاً الذين كان همهم وحدة الساحة واحترام آراء الآخرين من الفريق الثاني بكل رحابة صدر ومنهم:

الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن (٤٥٠هـ) والملقب بشيخ الطائفة الإمامية، وهو من تلامذة الشيخ المفيد والسيد الشريف المرتضى، وتذكر الروايات التاريخية أن الخليفة العباسي الذي عاصره منحه كرسي علم الكلام في بغداد، وهو أعلى منصب علمي آنذاك، وكان يجلس عليه ويلقي دروسه على تلامذته، وكان الغالب عليهم أنهم من أهل السنة.

ويقول في هذا الصدد المرحوم الشيخ عبد المجيد سليم وهو من مؤسسي دار التقريب القاهرية وكبار المفتين في القرن الماضي: إنه وبعد عشرة قرون من وفاة الشيخ الطوسي لم يكن يفتي بشيء في لجنة الإفتاء ما لم يراجع المسألة الفقهية في كتاب المبسوط الذي هو درة الكتب الفقهية التي اشتملت على آراء مذاهب أهل السنة وآراء علمائهم كما أورد

آراء علماء الشيعة. ومروراً بالشيخ الطوسي وكتابه «الخلاف» الذي تضمّن فتاوى المذاهب الإسلاميّة المختلفة مشيراً فيه إلى مواطن الاتفاق والاختلاف بين المذاهب..

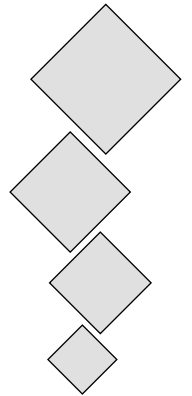
الحلي (٧٢٦هـ)

وهو الشيخ الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي المتوفى سنة ٧٢٦ هجرية والمعروف بالعلامة الحلي..

لقد استمر هذا الجهد الوحدوي بعد عصر الشيخ الطوسي، ففي القرن السابع الهجري برز العلامة الحلي وهو من علماء الفقه والتاريخ الإسلامي حيث عمل في كتابه «منتهى المطلب» على إبداء الآراء الفقهية استناداً إلى المراجع الفقهية المعتمدة لدى المسلمين الشيعة والسنة.

الخواجه نعيم الدين الطوسي

وأيضاً كان للخواجه نعيم الدين



الطوسي المتكلم والفيلسوف الشهير المتوفى سنة (٦٧٢هـ) كتاب سمي «بتجريد الكلام» وهو من المتون الكلامية المعروفة، وقد عكف على شرحه العديد من العلماء الكبار للفريقين من السنة والشيعة..

العلامة الطبرسي (٥٨٤ هـ)

ومن العلماء البارزين أيضاً في هذا المجال، العلامة الطبرسي الذي ألف مصنفات في الفقه والتفسير، منها كتاب «مجمع البيان في علوم القرآن» والذي ذكر فيه الآراء المختلفة للمسلمين السنة والشيعة في تفسير القرآن الكريم. وقد كتب الشيخ محمود شلتوت مقدمة لهذا التفسير في طبعته القاهرية التي نشرتها التقريب، وقد أشاد فيها بموضوعية العلامة الطبرسي ونزاهته وإسلاميته وإنكاره للتعصب واعتبر هذا التفسير أفضل ما صنف

المسلمون عامة.

وليس الشيعة فقط، كما أثنى عليه مفتي الديار المصرية وشيخ جامع الأزهر الأسبق الشيخ عبد المجيد سليم ووصفه بأنه طليعة كتب التفسير ومرجع العلوم والبحوث القرآنية..

ولم يشذ علماء ما يسمى بعصر النهضة عن هذه القاعدة.. إن الأنشطة الوحدوية وكل التحركات الخاصة بهذا المبدأ، لم ولن تتوقف وستستمر من قبل العلماء المسلمين الواعين على مرّ الأزمنة والعصور دون يأس أو كلل، وهي تعمل على نبذ الفرقة والتشتت، ثم التركيز والتأكيد على الجو الوحدوي، الذي تحكّمه القاعدة المعروفة «اللقاء على ما اتفقنا عليه والحوار فيما اختلفنا عليه».

وهنا نحن هنا نشير بإيجاز لبعض هؤلاء الأعلام الذين سجلوا أروع الأمثلة في جهودهم الوحدوية المخلصة المتمثلة فيما حرّروه عبر

كتاباتهم ومحاوراتهم وخطبهم وأعمالهم وجهودهم..

السيد جمال الدين الأفغاني (١٣١٤هـ)

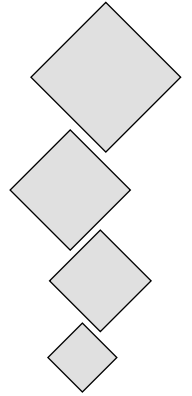
فقط كانت حركة السيد جمال الدين الأفغاني تصب في تأكيد الوحدة الإسلامية في مواجهة التحدي السياسي الذي كان يواجهه العالم الإسلامي عندما دعا إلى تشكيل جبهة واحدة موحدة في وجه المستعربين.. وقد أثرت أفكاره في تلميذه الشيخ محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وأحمد عرابي باشا وغيرهم..

الميرزا الشيخ محمد حسين النائيني (١٣٥٥هـ)

وفي بدايات عمره كان على علاقة وثيقة بالسيد جمال الدين الأفغاني منذ أيام دراسته في أصفهان، ولم تلبث هذه العلاقة أن توثقت عراها

فيما بعد، وكان من الأنصار الأقوياء للحركة الدستورية في إيران، وقد ألف كتابه المشهور «تنبيه الأمة» وللشهاد مطهري رأي في الكتاب والأسباب التي دعت النائيني إلى جمع نسخته ومؤثرة السكوت والصمت حيث يقول:

«لم يفسر التوحيد العلمي والاجتماعي والسياسي في الإسلام، تفسيراً دقيقاً أفضل من تفسير العلامة والمجتهد الفذ المرحوم الميرزا محمد حسين النائيني المستدل والمستشهد بإتقان من القرآن ونهج البلاغة في كتابه القيم «تنبيه الأمة وتنزيه الملة»، وإن كل ما كان يقصد من أمثال الكواكبي حول التوحيد فإن المرحوم النائيني أثبتته في ذلك الكتاب بأدلة إسلامية، ولكن مع الأسف إن محيط الجهل الذي عمّ مجتمعنا هو الذي دفع المرحوم النائيني إلى السكوت والصمت بعد



نشره الكتاب».

هذه الأصول المشتركة.

ثم نقل الشيخ محمد حسين كاشف
الغطاء الأحاديث الشريفة التي تصرح
بأن كل من شهد الشهادتين هو
مسلم فلم يحصر الانتماء للإسلام
بالشيعة الإثني عشرية.

وقد كان للشيخ كاشف الغطاء
الدور العملي البارز في التقارب
والوحدة الذي عبر عنه من خلال
حضوره الفعال في المؤتمر الإسلامي
الذي انعقد في مدينة القدس
الشريف حيث أمّ المصلين في مسجد
الأقصى المبارك. كما سافر أيضاً لهذه
الغاية إلى دمشق وبيروت والقاهرة
وفلسطين وكراتشي وطهران إضافة
إلى الديار المقدسة..

السيد عبد الحسين شرف الدين
(١٣٧٧ هجرية)

وفي سنة ١٣٢٨ هجرية وكذا في
سنة ١٣٤٠ هجرية كانت للسيد

محمد حسين كاشف الغطاء
(١٣٧٢هـ)

وقد استمرت مسيرة الدعوة
الوحدوية أيضاً من خلال الشيخ
محمد حسين كاشف الغطاء الذي
أكد أن الخلافات بين المسلمين
في القضايا الفقهية والعقيدية، لا
تؤثر في الانتماء الإسلامي، فيمكن
التعارف والتعاون بشأن القضايا
الراهنة في العالم الإسلامي في المجالات
السياسية والاقتصادية والعلمية
وترسيخ الأخوة فيما بين المسلمين
والذين يتمسكون بالأصول العامة
انطلاقاً من قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

لذا راح يقول: إن الذين لا يؤمنون
بالإمامة طبق العقيدة الشيعية ويصلون
ويصومون ويؤمنون بالتوحيد والقرآن
هم مسلمون وإخوة لنا تجمعنا بهم

رَبِّب - ذُو الْحِجَّة ١٤٢٨ هـ - ميقات الحج ٢٨
الشرع الوحدوي. رواداً ومواقف

مِيقَاتُ
الْحَجِّ

عبدالحسين شرف الدين أنشطة عديدة وهو في زيارته لدول عربية والديار الحجازية المكرمة ومنها ذهب إلى فلسطين ومصر حيث الأزهر الشريف، وهناك اجتمع بعلماء الأمة وعلى رأسهم إمام الأزهر الشريف آنذاك الشيخ سليم البشري وجرت بينهما حوارات مهمة صبت جميعها في خدمة الوحدة الإسلامية..

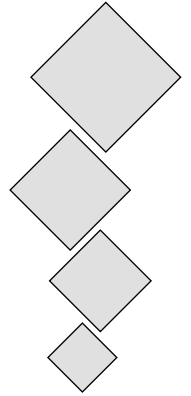
وهو أول عالم شيعي أم الجماهير الضاغطة المزدحمة في المسجد الحرام بمكة المشرفة، وهي أول مرة تقام فيها الصلاة وراء إمام شيعي على هذا النحو العلني تجتمع فيه الألوف.. لقد أم المصلين في الحرم المكي وخطب فيهم..^(١٠)

هو الشيخ محمد الخالصي حيث سعى إلى لقاء ضمّه مع علماء الشام الأعلام، ومن بينهم الشيخ محمد سعيد المعرفي الذي كان رئيساً للمجلس الأعلى في سوريا وقد دارت بينه وبين الإمام الخالصي حوارات مهمة تكلفت بزيارة قام بها الشيخ المعرفي لمدينة الكاظمية في بغداد، حيث زار المدرسة الخالصية وقد ألقى فيها الشيخ المعرفي خطبة صلاة الجمعة، وكانت من أروع الخطب وذلك يوم ٣٠ - ١٢ - ١٩٥١م. حيث كانت دعوة صادقة للتخلص من التفرقة وإقامة الوحدة الإسلامية..

الشيخ محمد أمين زين الدين (١٤١٩هـ)

وبموازاة تحرك الشيخ الخالصي كان هناك تحرك وحدوي لمرجع آخر، وهو الشيخ محمد أمين زين الدين، وذلك من خلال الرسائل التي كان يتبادلها

الشيخ محمد الخالصي (١٩٦٣ م)
وفي مصلحة التقارب بين المذاهب الإسلامية، عززت هذه المواقف أيضاً تحركات وحدوية مماثلة لمرجع شيعي



استفتاءات وأسئلة واسترشادات
وكان يرد عليها.
وله كتابات في مجال التقريب
بعنوان: «رمضان رمز تقريب القلوب
وتأليف الشعوب»^(١١).

محمد رضا المظفر (١٣٨٤ هـ)

إضافة إلى نشاطه العلمي والكتابة
والتأليف، كان هم التقريب بين
المذاهب وبالتالي وحدة الصف
المسلم يشكل جزءاً مهماً وكبيراً من
دائرة نشاطه، وراح يصبو إليه ويعمل،
وهو القائل في مجال التقريب:

وإني لو اثنق بأن فكرة التقريب بين
المذاهب أصبحت اليوم حاجة ملحة
وهدفاً رفيعاً لكل مسلم غير على
الإسلام مهما كانت نزعته المذهبية
ورأيه في المخلفات العقائدية، وليس
شيء أفضل في التقريب من تولي
أهل كل عقيدة أنفسهم كشف
دفائنها وحقائقها وهذه الطريقة

مع فضيلة العلامة الشيخ أحمد حسن
الباقوري، وكان من أبرز أساتذة
علماء الأزهر الشريف، وقد أصبح
فيما بعد وزيراً للأوقاف في مصر،
وقد نقل فضيلته هذه الرسائل في
مقدمة كتاب «المختصر النافع في فقه
الإمامية» للمحقق الحلي المتوفى سنة
٦٧٦ هجرية والمطبوع في مصر عام
١٩٥٤م والتي كانت تدور بينه وبين
الشيخ زين الدين، وجميعها كانت
تدعو إلى التقارب والتآخي بين أبناء
المذاهب الإسلامية..

السيد هبة الدين الشهرستاني (١٣٨٦ هـ)

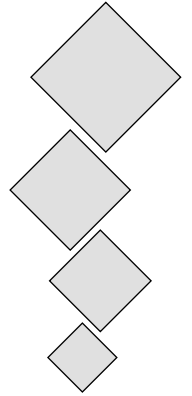
وهو من كبار رواد التقريب بين
المذاهب، وللسيد هبة الدين علاقة
طيبة ومتينة بالعالم الإسلامي،
فقد عاش الرجل للإسلام كله
وللمسلمين كلهم. كانت تصل
إليه من مختلف الأقطار الإسلامية

فيما أعتقد أسلم في إعطاء الفكرة الصحيحة عن المذهب وأقرب إلى فهم الصواب من الرأي الذي يعتنقه جماعته.

ولا يجهل خبير مقدار الحاجة اليوم خاصة إلى التقريب بين جماعات المسلمين المختلفة ودفن أحقادهم إن لم نستطع أن نوحّد صفوفهم، وجمعهم تحت راية واحدة، أقول ذلك، وإني لشاعر مع الأسف أنّا لا نستطيع أن نضع شيئاً بهذه المحاولات مع من جربنا من هؤلاء الكتاب كالدكتور أحمد أمين وأضرابه من دعاة التفرقة فما زادهم توضيح معتقدات الإمامية إلاّ عناداً وتنبههم على خطاهم إلاّ للجأ، وما يهمننا من هؤلاء وغير هؤلاء أن يستمروا على عنادهم مصرين لولا خشية أن ينخدع بهم المغفلون فتنطلي عليهم تلك التخريصات وتورطهم تلك التهجمات في إثارة

الأحقاد والحزازات.

إن من أعظم وأجمل مادعا إليه الدين الإسلامي هو التآخي بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم ومنازلهم. بلى إن المسلمين لو وقفوا لإدراك أيسر خصال الأخوة فيما بينهم وعلموا بها لارتفع الظلم والعدوان من الأرض، ولرأيت البشر إخواناً على سرر متقابلين قد كملت لهم أعلى درجات السعادة الاجتماعية، ولتحقق حلم الفلاسفة الأقدمين في المدينة الفاضلة، فما احتاجوا حينما يتبادلون الحب والمودة إلى الحكومات والمحاكم ولا إلى الشرطة والسجون، ولا إلى قانون للعقوبات، وأحكام للحدود والقصاص، ولما خضعوا لمستعمر ولا خنعوا لجبار، ولا استبدّ بهم الطغاة ولتبدلت الأرض غير الأرض وأصبحت جنة النعيم ودار السعادة^(١٢).



السيد الشهيد محمد باقر الصدر

(١٤٠٠هـ)

لقد كان السيد الشهيد الصدر يؤكد في خطابه أن لا يكون هناك صراع موجه ضد أيّ مذهب من المذاهب الإسلامية، وبما أن العراق يعتبر مجتمعاً متنوعاً في مذاهبه وطوائفه، فقد راعى الشهيد الصدر هذه الخصوصية وهي نموذج للساحة الإسلامية الأكبر والأوسع ذات المذاهب المتعددة، وهو يبين أن الوحدة الإسلامية لا بد لها من أن تقوم على هذا التنوع، فتراه وهو يصارع الاستبداد والطغيان يخاطب المسلمين في العراق دون أن يلغي هذا التميز والانتماء والتلون:

«يا أخي السني ويا أخي الشيعي»، ومبيناً أنه ليس لفئة دون فئة أو لمذهب دون مذهب أو لقومية دون أخرى بل هو للجميع عبر دفاعه عن رسالة الإسلام الخالدة «إني

منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الأمة، بذلت وجودي من أجل الشيعي والسني على السواء، ومن أجل العربي والكردي على السواء، حيث دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعاً وعن العقيدة التي تهمهم جميعاً. إنها رسالة الإسلام التي توحدهم، ولهذا نراه يصرح بأن الوحدة التي يدعو لها يجب أن تركز على الإسلام دون سواه «أنا معكما يا أخي السني والشيعي بقدر ما أنتما مع الإسلام».

أما في داخل إيران فالذي يبدو أن موضوع الوحدة الإسلامية كان موضع اهتمام واضح وأكد وأمرأ معمولاً به عند العلماء الإيرانيين حتى منذ زمن نادرشاه أفشار (١٧٤٧) عندما استرد إيران من الأفغان وسيطر على الأفغان ووصل إلى باكستان ونيودهي وتحديث مع الدولة العثمانية على أساس الصلح بين الدولتين باعتبار

أن حجمه الجغرافي والسياسي والعسكري يوازي حجم الدولة العثمانية وتعامل على هذا الأساس حتى أنه حاول داخلياً أن يتبنى مذهباً توفيقياً بين الشيعة والسنة.. ونشير هنا إلى عدد من علماء الإمامية ممن كان همهم الأول وحدة المسلمين، وراح يبذل قصارى جهوده عبر أنشطته وكتاباته وخطاباته وفتاويه ومن خلال علاقاته الطيبة مع علماء من أهل السنة:

السيد حسين البروجردي (١٣٨٠هـ)

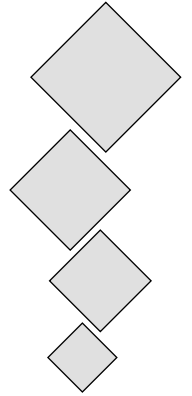
وهو المعروف بأنه صاحب الأفكار الخلاقة في مجالات عديدة وأنشطة متنوعة.. وخصوصاً في توحيد الساحة المسلمة بالتقريب بين مذاهبها المتعددة.

ولا بد لنا من الإشارة إلى بعض الأفكار الوجدانية التي يمكننا استفادتها من مواقف السيد من

خلال ما كتب عنه.

فمسألة الوحدة بين فرق المسلمين نالت اهتماماً كبيراً من قبله، ونتيجة لسعة اطلاعه بتاريخ المسلمين فإنه كان يعلم بأن تلك التفرقة التي زرعت بين مذاهب المسلمين وفرقهم، كانت من صنع الحكام الذين تسلطوا على رقاب المسلمين في السابق، وقد اقتفى الاستعمار الأجنبي أثر ذلك النهج في العصر الحاضر، حيث قام بإشعال نار التفرقة والاختلاف بين صفوف المسلمين، ليتسنى له حكمهم، والسيطرة على ثرواتهم.

أما المسألة الأخرى التي كان يعتقد أنها السيد البروجردي، فهي أن عزل الشيعة عن بقية المذاهب الإسلامية، حدا بطوائف المسلمين أن تجهل الشيء الكثير عن مذهب الشيعة وأفكارها ومعتقداتها، ولهذا أكد على ضرورة التفاهم بين مذهب



الشيعة والمذاهب الأربعة لأهل السنة، باعتبار أن الإسلام هو دين الوحدة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أكثرية المسلمين هم من أهل السنة، فلا بد إذن من تعريف المذاهب الأخرى بمعتقدات الشيعة وأفكارها.. ونتيجةً لتظافر جهود علماء من الفريقين، تم تبادل وجهات النظر بينهم حول ما تعانيه الأمة، ووضع أسس للتعاون والتفاهم.. وقد أثمرت الجهود التقريبية بشكل متميز عن إصدار شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت فتواه التاريخية بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، هذه الفتوى التي أزاحت ركماً كثيراً من المقاطعة بين أهم فريقين يتقاسمان العالم الإسلامي.

ولا بد لي من الإشارة إلى ما ذكره الشهيد الشيخ المنتظري في فصل من مذكراته إلى الاتصالات التي جرت بين المرجع الأعلى البروجردى في

الخمسينيات مع كبار علماء السنة، لاسيما مشايخ الأزهر، لإزالة سوء التفاهم القائم بين الشيعة والسنة والعمل سوياً لتعزيز أسس الوحدة بين المسلمين من جميع المذاهب، حيث يقول:

كان المرجع الراحل البروجردى مهتماً بصورة جدية بقضية الوحدة بين المسلمين بحيث كان يأمل في زوال الخلافات وحصول التقارب بين أبناء الأمة الواحدة. ولما علم بتشكيل دار للتقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة من قبل الشيخ محمد تقي القمي (مندوب البروجردى المتجول في العالم الإسلامي) ارتاح كثيراً. ودائماً كان سماحته يشير إلى مساعي القمي. كما كان يتابع باهتمام بالغ مطالب مجلة «رسالة الإسلام» التي كان القمي يصدرها من القاهرة. وكنت شاهداً في يوم ما حين مجيء القمي إلى مكتب البروجردى بحيث

أصغى البروجردي إلى تقريره، وقد علت وجهه مظاهر الإعجاب والتقدير والارتياح..

الشيخ محمد تقي القمي (١٩٩٠م)

سنة (١٣٦٨هـ - ١٩٤٧م) انطلق المشروع الوجدوي على يد الشيخ محمد تقي القمي، وهو يرى ضرورة استمرار مبادئ السيد جمال الدين الأسدآبادي المعروف بالأفغاني في كسر الحواجز الإقليمية والمذهبية بين المسلمين، فانطلق من إيران متجهاً إلى حيث كان أتباع السيد الأفغاني، ووجد من شاركه الهموم والآمال نفسها من كبار علماء الأزهر، فكان بحق مؤسس «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية» بالقاهرة وكانت داراً مباركة..

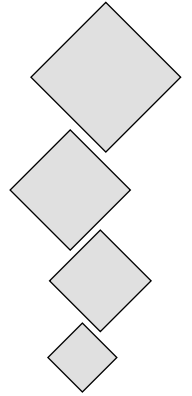
وهناك حديث مفصل جرى بينه وبين الإمام الشيخ المراغي شيخ الجامع الأزهر، وكان موضوع الحديث هو

المشكل الخطير الذي على المسلمين أن يعالجوه إذا أرادوا نهضة موحدة تشمل جميع شعوبهم وبلادهم، وهو توحيد المسلمين ثقافياً..

وللشيخ القمي في مجال التقريب مقال قيم تحت عنوان: (أمة واحدة وثقافة واحدة) (١٣).

وقد أشار شيخ الأزهر محمود شلتوت إلى هذا العمل التقريبي بقوله:

« لقد كان الجو السائد عند بدء الدعوة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية مليئاً بالطعون والتهم ومشحونة بالافتراءات حتى تكونت جماعة التقريب بين المذاهب بأعضائها من المذاهب المختلفة السنية الأربعة والإمامية والزيدية، والتي شكلت نصراً مبيئاً أهج نفوس الحاقدين، وقد كانت إنجازاً مهماً للإسلام والمسلمين والأمة، ورغم ذلك فقد هوجمت من المتعصبين المتزمتين من



كلا الطرفين».

ويشير الشيخ شلتوت إلى الاجتماعات في دار التقريب حيث يجلس المصري إلى الإيراني، أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني، أو غير هؤلاء من مختلف الشعوب الإسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي، حول مائدة واحدة، تدوي أصوات فيها علم، وفيها أدب، وفيها تصوف، وفيها فقه، وفيها مع ذلك كله روح الأخوة، وذوق المودة والمحبة، وزمالة التعليم والعرفان»(١٤).

وعن مؤسس الدار الشيخ القمي، يتحدث الشيخ محمود شلتوت: «ذلك العالم المجاهد الذي لا يتحدث عن نفسه، ولا عما لاقاه في سبيل دعوته، وهو أول من دعا إلى هذه الدعوة، وهاجر من أجلها إلى هذا البلد، بلد الأزهر الشريف.. فعاش معها وإلى جوارها منذ غرسها



بذرة مرجوة على بركة الله، وظل يتعهدا بالسقي والرعاية بما آتاه الله من عبقرية وإخلاص، وعلم غزير، وشخصية قوية، وصبر على الغير، وثبت على صروف الدهر، حتى رآها شجرة سامقة الأصول، باسقة الفروع، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويستظل بظلها أئمة وعلماء ومفكرون في هذا البلد وفي غيره...»^(١٥).

فيما تحدث الشيخ محمد تقي القمي عن حالة العالم الإسلامي التي دعت المفكرين إلى حركة «التقريب» فيقول:

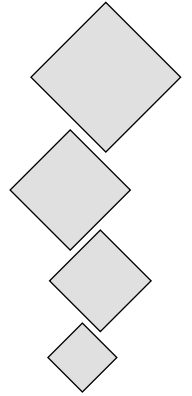
«كان الوضع قبل تكوين جماعة التقريب يثير الشجن، فالشيوعي والسني كل كان يعتزل الآخر. وكل كان يعيش على أوهام ولذتها في نفسه الظنون أو أدخلتها عليه سياسة الحكم.

أجل لقد ظلت الفرقة بين المسلمين

غذاء مناسباً للحكم والحكام قروناً عدة، دأب فيها كل حاكم على استغلالها لتثبيت سلطانه، ولتحطيم عدوه، ثم جاءت السياسات الأجنبية فوجدت في هذه الفرقة خير وسيلة لتدخلها، وبث نفوذها ودعم سلطانها وفرض سيطرتها»^(١٦).

وبعد أن يفصل الشيخ القمي في الظواهر المؤلمة التي عجت بها الساحة الإسلامية يومئذ، والحوافز التي دفعت إلى التفكير في التقريب يقول:

«هكذا بدأنا التفكير في التقريب، ثم سلخنا بعد ذلك شهوراً نبحث في سبل العلاج، فدرسنا الدعوات التي سبقتنا وأفدنا منها كثيراً. ودرسنا المشاكل الطائفية برمتها، والكتب المعتمدة عند كل فريق لنحدد الطوائف التي تتفق في الأصول الإسلامية، ودرسنا الخلافات الفرعية الفقهية ومبلغ ما وصلنا



إليه ثم حددنا أنجح الطرق للوصول
بفكرتنا إلى الأعماق.

وقد أدى بنا التفكير إلى أن هذه
الدعوة يجب أن تقوم بها جماعة
بدل أن يقوم بها فرد يتعرض لكثير
من الأخطار، وأن تكون الدعوة
إلى التقريب بين أرباب المذاهب
لا إلى جمع المسلمين على مذهب
واحد، فيبقى الشيعي شيعياً والسني
سنيّاً، وأن يسود بين الجميع مبدأ
احترام الرأي الذي يؤيده الدليل،
وأن تكون الجماعة ممثلة للمذاهب
الأربعة المعروفة عند أهل السنة
ومذهبي الشيعة الإمامية والزيدية،
وأن يمثل كل مذهب علماء من
ذوي الرأي والمكانة فيه، وأن تكون
الجماعة بمعزل عن السياسة، وأن
تكون محددة الأهداف وأن يكون
سعيها على أساس البحث والعلم
كي تثبت أمام المعارضة وتكسب
الأنصار عن سبيل الإقناع والإقناع،

ولكي تستطيع بسلاح العلم محاربة
الأفكار الخرافية الطفيلية التي لا
تعيش إلا في ظل الأسرار والأجواء
المظلمة. ولكي تتمكن في الوقت
نفسه من مقاومة الطوائف والنحل
التي ليست من الإسلام في شيء،
والتي يحسبها الشيعي سنية والسني
شيعية، بينما هي في حقيقتها حرب
على الإسلام..».

ويقف الشيخ عند أكبر عقبة
واجهت الجماعة، وهي رواسب
الماضي، وما أثارته من ضجيج
وإرجاف، وكيف واجهت الجماعة
كل ذلك فيقول:

«لكن الجماعة هيأت نفسها لهذا
من أول الأمر؛ لأنها تعلم أنها تواجه
رواسب قرون، وكانت تتوقع حملات
فيها الطعن والتجريح، وبدل أن
تضعف الهجمات العزائم شحذت
الهمم وقوت الجماعة على السير
بالفكرة إلى النهاية...»

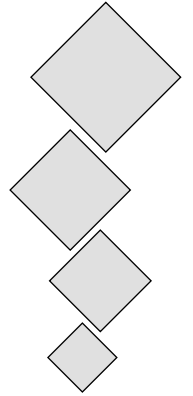
وكانت هذه الهجمات نفسها دليلاً على ضرورة فكرة التقريب للمجتمع الإسلامي كي يتخلص من العناصر البغيضة ذات التفكير السقيم الذي يبلبل الخواطر ويصرف الأذهان عما ينفع الناس ويمكث في الأرض» (١٧).

مجلة رسالة الإسلام

من أبرز آثار دار التقريب مجلتها «رسالة الإسلام» هذه المجلة كانت تنشر الفكر التقريبي بين المسلمين، وتجمع العلماء على صعيد الحوار العلمي البناء في مختلف المجالات، وقد صدر عددها الأول في ربيع الأول سنة ١٣٦٨هـ (يناير ١٩٤٩م)، وراحت تتواصل أعدادها بالصدور كل ثلاثة أشهر، ومع تعثر صدورها أعواماً، فقد صدر عددها الستون والأخير في رمضان ١٣٩٢هـ (أكتوبر ١٩٧٢م)، ومجموعة ما تضمنته من

مقالات ودراسات وأخبار يشكل سفيراً هاماً من أدبيات التقريب في عالمنا المعاصر، إذ إن المجلة انفتحت على كُتّاب أهل السنة والشيعة، وانعكست فيها مسيرة دار التقريب، ومسيرة التقريب في العالم الإسلامي. ومن هنا فإنها تشكل رصيماً هاماً للتقريب ومعلماً لمسيرته.. وهو أمر يكفي أصحابها والقائمين عليها فخراً..

وقد كتب فيها عدد من علماء الشيعة الإمامية، من أمثال: الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والشيخ عبد الحلیم كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والسيد صدر الدين شرف الدين، والسيد هبة الدين الشهرستاني، والشيخ محمد تقي القمي، والشيخ محمد جواد مغنية، والسيد مسلم الحسيني الجلي. ومحمد صادق الصدر، وغيرهم،



وكان من نتائج هذه الأنشطة أن أصبح الفقه الإمامي الشيعي يدرس بجامعة القاهرة، والفقه الحنفي يدرس بجامعة طهران. وكان كتاب أصول الفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم يدرس في جامعة القاهرة وهذا كان من قبل خمسين سنة...

وبعد هذا الاستعراض السريع لعدد من رموز الوحدة والتقريب بين المذاهب الإسلامية، ننتقل إلى مفخرة هذا العصر، وصاحب الرؤية الواعية لتقريب المسلمين بعضهم من بعض، وذي الريادة الفذة لتوحيد صفوفهم، وبناء قوتهم وتثبيت كيانهم... إنه

الإمام روح الله الخميني

الإمام الخميني هو الآخر الذي دعا المسلمين جميعاً إلى الوحدة والتلاحم حول محور الإسلام، وكان همه الرئيس هو التقريب بين أبناء

وعدد من علماء أهل السنة من أمثال:

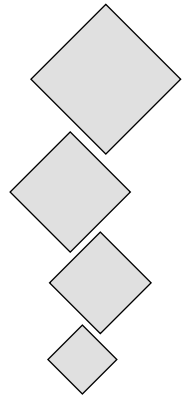
الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت، وكلاهما من أئمة الأزهر وشيوخه، والشيخ محمد محمد المدني رئيس تحرير المجلة، والشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور محمد البهي، والشهيد الشيخ حسن البنا، والأستاذ محمود فياض، والشيخ محمد علي علوبه باشا، والشيخ محمد عبدالله دراز، والشيخ عبد المتعال الصعيدي، والاستاذ محمد فريد وجدي، والأستاذ أحمد أمين، والأستاذ علي عبد الواحد وافي، والأستاذ عباس محمود العقاد..

وكذلك شارك فيها إمام الشيعة الزيدية في اليمن علي مؤيد، وأجد الزهراوي وهو من كبار علماء العراق، والحاج أمين الحسيني من فلسطين، والشيخ الألوسي وغيرهم الكثير.

المسلمين وتمتين العلاقات بينهم بغض النظر عن مذاهبهم، وهو صاحب الشعار المعروف الواضح ذي المضامين العالية الذي أطلقه: «ياأيها المسلمون اتحدوا اتحدوا» والمشاريع التي تؤسس لبناء أواصر المحبة والمودة بين المسلمين والتي دعا إليها السيد الإمام عديده، منها أسبوع الوحدة المتضمن للولادة النبوية بتاريخها ١٢ ربيع الأول و١٧ ربيع الأول، وأيضاً يوم القدس آخر جمعة من شهر رمضان، إضافة للمؤتمرات العديدة المهمة بتوحيد الصف المسلم التي عقدت في إيران وشارك فيها الكثير من علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم.. وأسس جماعة التقريب بين المذاهب وأعطى لهذه الجماعة ميزانية تستطيع أن تقوم بدورها اليومي طوال أيام السنة وتتسع لإقامة مؤتمرات تارة في مصر وتارة في إيران...

ونظراً إلى ما يتمتع به السيد الإمام من نظرة واعية إلى فريضة الحج التي يقول فيها: «الجميع يعلم أنه ليس بمقدور أي إنسان وأية دولة عقد مثل هذا المؤتمر الكبير، وأن الله تعالى هو الذي صنع هذا الاجتماع العظيم، إلا أنه مع الأسف لم يستطع المسلمون على مرّ التاريخ أن يستفيدوا من هذه القوة السماوية، وهذا المؤتمر الإسلامي كما ينبغي لصالح الإسلام والمسلمين..».

نكتفي نحن هنا بإلقاء الضوء على ما أصدره السيد الإمام من كلمات وفتاوى في موسم الحج، لأن موسم الحج، هذا التجمع الذي يخفق على ربوعه لواء التوحيد، يرى السيد الإمام فيه قوة عظمى تتحطم على صخرتها دسائس ومخططات ومؤامرات كل الأعداء المتربصين بهذه الأمة سوءاً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرى فيه تحقيقاً



لطموحات الأمة وآمالها في أمة كريمة
واحدة متفاعلة مكتفية ذاتياً في كل
مجالات وأصعدة تطورها، الثقافية
والاقتصادية والعلمية.. وما تجتمع
المسلمين في الحج إلا صورة مصغرة
لها.. وللرؤية الواضحة التي يمتلكها
ووعيه الدقيق للواقع الإسلامي
الذي يضم شعوباً مظلومة مقهورة
تحت سياط حكام طغاة ظالمين.

و شعوراً منه بالمسؤولية الشرعية
الملقاة على عاتقه وهو مرجع
كبير وزعيم باتت أنظار كثير من
المسلمين متوجهة صوبه، منتظرة
كلمته ملبيةً دعوته، راح السيد
الإمام الخميني يوجه نداءاته الكثيرة
ووصاياه المتعددة؛ لتوثيق الوحدة بين
المسلمين - التي حظيت من وقته
وجهد واهتماماته بالكثير، فكانت
له رؤى خصبة في هذا المضمار -
ونبذ الخلاف ويحذر من التفرقة
والتشتت. بدءاً بالتحذير من إثارة

النعرات القومية التي تنخر في جسم
الأمة والتزاماً منه بنهي النبي ﷺ
«دعوها إنها (العصبية) نتنة». «وليس
منّا من دعا إلى عصبية». وقد راحت
أقواله تترى عبر خطاباته العديدة
التي كانت ترافق أداء فريضة الحج،
ويوصي بها المسلمين جميعاً، وهذه
نبذ قيمة منها:

- إنّ النعرات القومية - هذه المسألة
التي عارضها الإسلام والقرآن
الكريم والنبي الأعظم - تثير العداء
بين المسلمين والشقاق بين صفوف
المؤمنين، وهي بالتالي تهدد مصالح
المسلمين، وهي من مكائد الأجنبي
الذين يزعمهم الإسلام وانتشاره..
- وتأكّدوا أنكم إخوة متساوون
مع جميع الشعوب بغض النظر عن
اللون والقومية والمحيط والمنطقة،
تتبادلون الهموم والآلام، وتؤكدون
الوحدة بينكم، وتنهضون يداً واحدةً
ضد أعداء البشرية والمزورين



يضرّها اختلاف الآراء.. ويضع اللوم على من أسماهم بوعاظ السلاطين بإثارة النعرات المذهبية وتأجيج نيران الخلافات بين أهل السنّة والشيعّة.

لهذا انبرى السيّد الإمام قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران وبعدها إلى تثبيت رؤاه وتحقيق الوحدة الإسلامية، يقول سماحته:

- هناك ما هو أخطر من النعرات القومية وأسوأ منها، وهو إيجاد الخلافات بين أهل السنّة والشيعّة، ونشر الأكاذيب المثيرة للفتن والعداء بين الإخوة المسلمين..

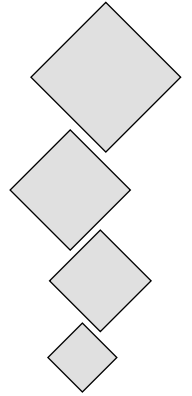
ثم راح يوصي الإخوة المسلمين بأن هؤلاء المأجورين المرتبطين بالقوى الشيطانية الكبرى لا يريدون خيراً للإسلام والمسلمين، وعلى المسلمين أن يتبرأوا منهم ويعرضوا عن إشاعاتهم المنافقة..

ثم راح يبيّن خطورة تقسيم الأُمَّة

ومصاصي الدماء .
- يجب أن تعلموا أنّ الطريق الأساس إنّما هو في ظلّ وحدة جميع المسلمين، واجتماعهم على قطع أيادي القوى العظمى من الدول الإسلامية .

- ينبغي على الحجّاج المحترمين لبيت الله الحرام لأيّ مذهب أو قومية انتموا، أن يرضخوا لأحكام القرآن الكريم، ويقفوا في مواجهة سبل الشياطين الذين يريدون اقتلاع الإسلام، الذي طهّر الشرق والغرب منهم ومن عملائهم الذين لا إرادة لهم سوى إرادة أسيادهم. ويمدّوا يد الأخوة الإسلامية بعضهم لبعض، وينتبهوا للآيات الكريمة التي تدعوهم إلى الاعتصام بحبل الله، وتنهاهم عن الاختلاف والتفرقة..

لم يكن الإمام الخميني يرى أنّ الاختلافات المذهبية مسوغة للفرقة بين أبناء الأُمَّة الإسلامية الواحدة، وكان يؤكّد أنّ الأخوة الإسلامية لا



الإسلامية إلى مذاهب وحذر منها:
- إنَّ طرح مسألة تقسيم المسلمين
إلى سنِّي وشيعي وحنفي وحنبلي
وأخباري لا معنى لها أساساً..
- المجتمع الذي يريد أفراده جميعاً خدمة
الإسلام والعيش تحت ظلال الإسلام
لا ينبغي أن يثير هذه المسائل.

- كلُّنا إخوة، وكلنا نعيش قلباً
واحداً، غاية الأمر أنَّ الحنفي يعمل
بفتاوى علمائه، وهكذا الشافعي،
وثمة مجموعة أخرى هي الشيعة
تعمل بفتاوى الإمام الصادق عليه السلام،
وهذا لا يبرر وجود الاختلاف، لا
ينبغي أن نختلف مع بعضنا، أو أن
يكون بيننا تناقض. كلُّنا إخوة، على
الإخوة الشيعة والسنة اجتناب كلِّ
اختلاف، فالاختلاف بيننا اليوم هو
لصالح الذين لا يؤمنون بالسنة ولا
بالشيعة ولا بالمذهب الحنفي ولا
بسائر الفرق الإسلامية. وهؤلاء
يريدون القضاء على هذا وذاك،

فهدفهم بثَّ الفرقة بينكم. عليكم
أن تتبها جيداً أننا جميعاً مسلمون
وأتباع القرآن وأهل التوحيد..
ويبادر سماحته بالدعوة الصادقة إلى
الوحدة والتآلف لإحباط المؤامرات
فيقول:

- إني أمدِّ يد الأخوة إلى جميع
المسلمين الملتزمين في العالم، وأطلب
منهم أن ينظروا إلى الشيعة بصفتهم
إخوة أعزاء لهم، وبذلك نشترك جميعاً
في إحباط هذه المخططات المشؤومة.
ثم يواصل حديثه ووصاياه
للمسلمين يستنهضهم من سباتهم
ومن تمزقهم:

- أيُّها المسلمون المؤمنون بحقيقة
الإسلام، انهضوا ووحدوا صفوفكم
تحت راية التوحيد وفي ظلِّ تعاليم
الإسلام، واقطعوا أيدي الدول
الكبرى الخائنة عن بلدانكم
وثرواتكم الوفيرة، وأعيدوا مجد
الإسلام، وتجنّبوا الاختلافات

رجب - ذوالحجّة ١٤٢٨ هـ - ميقات الحج ٢٨
الشرع الوحدوي.. رواداً ومواقف



والأهواء النفسية، فإنكم تملكون كل شيء. اعلّموا أن قدرتكم الروحية ستتغلب على جميع الطواغيت، وتستطيعون بعددكم البالغ مليار إنسان، وبثرواتكم الطائلة غير المحدودة أن تحطموا جميع القوى.. انصروا الله كي ينصركم.

- أيّتها الجموع الغفيرة من المسلمين، انتفضوا وحطّموا أعداء الإنسانية، فإن اتجهتم إلى الله تعالى، والتزمتم بالتعاليم السماوية، فالله تعالى وجنده العظام معكم.. ولنصل إلى النصر من خلال الاجتماع على الحق، وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد، التي هي أساس ومنبع عظمة الأمة الإسلامية.

- يا مسلمي العالم! ماذا جرى لكم في صدر الإسلام؟ على قلتكم هزمتم القوى العظمى، وحققتم وجود الأمة الإسلامية الإنسانية الكبرى، وأنتم اليوم تعدّون ما يقارب المليار

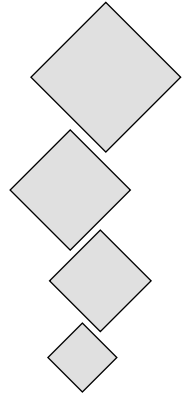
نسمة وتملكون الثروات الكبيرة، التي تعتبر رأس الخبرة، وتعاونون إلى هذا الحدّ من الضعف والانسحاق في مقابل الأعداء؟!

- أيّها المسلمون ويا مستضعفي العالم! مدّوا أيديكم لبعضكم لبعض وسيروا في سبيل الله..

- يجب أن نعلم أنّ إحدى الفلسفات الاجتماعية لهذا التجمّع العظيم من جميع أنحاء العالم توثيق عرى الوحدة بين أتباع نبيّ الإسلام، أتباع القرآن الكريم في مقابل طواغيت العالم، وإذا لا سمح الله أوجد بعض الحجاج من خلال أعمالهم خلافاً في هذه الوحدة أدّت إلى التفرقة، فذلك سيوجب سحق رسول الله ﷺ وعذاب الله القادر الجبار.

وفي عبارة أخرى له: وأن ترتفعوا عن الفرقة والتنازع ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

- إنّهضوا من أماكنكم واحملوا



أن تكونوا جميعاً يداً قرآنية واحدة حتى تسيطرُوا على أعداء الإسلام والإنسانية... (١٨)

ما أجمله من تعبير: يداً قرآنية واحدة!

نعم، يمكننا نحن أن نتجنب ما يثير الخلاف والنزاع والفرقة دون أن نصادر الرأي الآخر إذا ما قام عليه الدليل، وبذلك نستطيع أن نصون الوحدة لأمتنا الإسلامية، هذا الأمل الكبير الذي يُراود كل المؤمنين والعلماء المصلحين.. تحت ظلال القرآن الكريم.

الفتاوى الشرعية

لم يكتب السيد الإمام بهذا الذي هو على مستوى الخطاب، بل راح يعززه بالفتاوى الشرعية وهو يخطو خطوات كبيرة في توحيد صفوف المسلمين، فبادر إلى إصدار فتواه بتجنب ما يثير الفتن، ويثير الضغائن

القرآن الكريم، واستلهموا أوامر الله تعالى حتى تعيدوا مجدكم وعظمة الإسلام العزيز، تعالوا استمعوا إلى موعظة واحدة من الله حيث يقول:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾

- انهضوا جميعاً وقوموا لله، قوموا فرادى على جنود وشياطين أنفسكم الباطنية، وقوموا جميعاً على القوى الشيطانية، إذا كانت الثورة والنهضة إلهية ولأجل الله فهي منتصرة. وراح يوصي الحجاج بالتزام الأخوة في تعاملهم:

- الحجاج المحترمون الموجودون في جوار بيت الله ومحل رحمته، تعاطوا برفق ومروءة وأخوة إسلامية مع جميع عباد الله، واعتبروا الجميع - ودون النظر إلى اللون واللسان والمنطقة والمحيط - منكم.

ثم دعاهم جميعاً إلى شيء عظيم ألا وهو:

بين الإخوة.

ومناسك منى، كما أفتوا بصحة جميع
عباداتهم التي يخالفون في بعض
أجزائها وشروطها فتاوى الفقهاء
الشيعة ولا ضرورة لإعادتها.

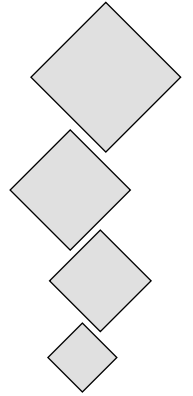
ولا بد لنا من أن نشير أخيراً
إلى أنه، وعلى هدى دار التقريب،
نشأت مؤسسة تحمل نفس الدور
التقريبي والههم الوجدوي.. لكن
هذه المرة من طهران من خلال
المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب
الإسلامية الذي أسس سنة ١٤١١هـ
بأمر من قائد الجمهورية الإسلامية
في إيران السيد الخميني دام ظله؛
لإقامة علاقات طيبة بين المذاهب
الإسلامية وإيجاد قنوات ارتباط
سليمة بين علمائها وزعمائها وتبني
الوحدة على أساس المشتركات
الإسلامية الثابتة التي يتفق عليها
المسلمون كافة، وفتح باب الحوار
وتبادل وجهات النظر بينهم في
المسائل الخلافية واحترام جميع

- على الإخوة الإيرانيين وجميع
الشيعة في العالم أن يتجنبوا الأعمال
الجاهلة، التي تؤدّي إلى تفرّق صفوف
المسلمين، كنصب مكبرات الصوت
بدون انتظام، وإلقاء النفس على
القبور الطاهرة، والأعمال المخالفة
للشرع..

كما أصدر فتوى أخرى للشيعة
بالاشتراك في الصلوات، حيث
يقول:

- وعليهم أن يشتركوا في جماعات
أهل السنّة، وأن يتجنبوا عقد صلاة
الجماعة في البيوت.

لقد راح الإمام يدعو وكثير
من فقهاء الإمامية أتباعهم إلى أن
يشاركوا في صلاة الجمعة والجماعة
لأهل السنّة خصوصاً في الأماكن
المقدّسة في مكة والمدينة، مراعاةً
للوحدة، وأن يتبعوهم في تحديد أوّل
الشهر والوقوف في عرفات والمشعر



المسلم منهجاً يترسمه العلماء والدعاة
 الواعون، وأملاً يراود المخلصين من
 الفريقين: السنّة والشيعه، ومعلماً
 هاماً من معالم إرادة الأمة المسلمة في
 الوحدة والتعاقد.. والتي لن تتوقف
 حيث ستبقى هذه تعمل على التأكيد
 على الجو الوحدوي الذي يعني
 اللقاء على ما اتفقنا عليه والحوار
 فيما اختلفنا عليه والوقوف صفّاً
 منيعاً تحت الشعار القرآني العظيم:
 ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا
 تَفَرَّقُوا﴾.

الآراء القائمة على أساس الدليل
 الشرعي، ويعتمد الجمع على لجان
 علمية متخصصة تضم علماء من
 مختلف المذاهب...

وختاماً

حقاً إن فقهاء الشيعة أصحاب
 نداء تقريبي توحيدى هدفه الإسلام
 والسلام والوئام بين أتباع المذاهب
 الإسلاميه، ولطالما دعوا إلى غلق
 باب الاختلاف وأسبابه، الذي قد
 يفضي في بعض مواقفه إلى النزاع
 والافتتال، وخير دليل على ندائهم
 ذلك ما ذكرناه وهو غيض من
 فيض.. وأمامكم سيرتهم ومؤلفاتهم
 ومواقفهم ودعواتهم الجادة لردم كل
 ممزق ومفروق ومشتت.. والتوجه
 المخلص والجاد والمثمر نحو
 الشمل المسلم على جميع الأصعدة
 تمهيداً للوحدة الكبرى..
 لقد بقيت فكرة توحيد الصف

الهوامش

- (١) انظر شرح نهج البلاغة ٦: ٩٥.
- (٢) نهج البلاغة: ١٩٢ صبحي الصالح.
- (٣) يوسف: ١٨؛ وانظر: الكامل في التاريخ ٣: ٧١.
- (٤) نهج البلاغة: ١٠٢.
- (٥) شرح نهج البلاغة ٩: ١٥، ٢٦٢.
- (٦) الأنبياء: ٩٢.
- (٧) آل عمران: ١٠٣.
- (٨) صحيح مسلم: ١٣٩٦، ح ٢٥٨٦.
- (٩) صحيح البخاري ٢: ١٠١.
- (١٠) انظر: مقدمة المراجعات: ٤٢، بقلم آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين.
- (١١) انظر في هذا كله كتاب هكذا عرفتهم ٢: ١٩٥ ومجلة رسالة الإسلام ١: ٢٥٠.
- (١٢) انظر عقائد الإمامية: ٢٧، ١٢٠.
- (١٣) انظر أعداد رسالة الإسلام ١، ٢، ٣ وأعداد أخرى منها.
- (١٤) انظر دعوة التقريب تاريخ ووثائق طبعة وزارة الأوقاف المصرية، ١٤١٢هـ - ١٩٩١: ١٩١٨.
- (١٥) دعوة التقريب تاريخ ووثائق، طبعة وزارة الأوقاف المصرية، ١٤١٢هـ - ١٩٩١: ١٨.
- (١٦) دعوة التقريب تاريخ ووثائق، طبعة وزارة الأوقاف المصرية: ٢٤.
- (١٧) دعوة التقريب، تاريخ ووثائق: ٢٧.
- (١٨) انظر في هذا نداءات الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه.

